



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 17-6-93
Photo No. : 192

شِراك والصداقات الجديدة

"فلتحيا المصداقة الفرنسية - اللبنانية". انها بلا شك كلمات سيكثر ترددها طيلة هذا النهار، خلال تجوال جاك شيراك عمدة باريس في بيروت. بل لعلها ستكون الكلمات الاكثر استعمالاً في التصريحات الرسمية التي ستطالعنا بها الصحف غداً.

لا عجب، فمن القواعد التاريخية لهذه العلاقة ان الضرفين يتسابقان الى تمجيدها. لكن التقليد لن يكون وحده المسؤول عن حرارة الاحتفاء بالزائر، ولا البروتوكول. اذ لا يخفى ان الاسباب التي جعلت الحكومة تعول الكثير على هذه الزيارة هي اسباب سياسية في المقام الاول. لا ضير في ذلك، فمن حق الحكومة الاحتفال بنجاحها، وزيارة شيراك تعتبر، حتى قبل ان تبدأ، نجاحاً كبيراً.

لذلك، لا بد من وضع النقاط على الحروف، قبل ان يخفي الإطناب المتوقع في عرس المصداقة الفرنسية - اللبنانية الى تمييع معنى الزيارة او تحميلها معاني اضافية، يخشى ان تكون السياسة الفرنسية عاجزة عن حملها. ومن نافل القول في هذا المجال ان المعنى الاول والأهم لزيارة شيراك انما تشكل تكريماً ساطعاً للتوازنات السياسية والطائفية الجديدة في لبنان بعد الطائف. وهو تكريس يكتسب اهميته من كونه يأتي من "الأم الحنون"، ليبدد أكثر فأكثر الأوهام الثأرية التي ما زالت تراود البعض. في الحقيقة، ليس في هذا التكريس ما يدفع الى الاستغراب. فالسياسة الفرنسية حيال لبنان قامت منذ الستينات على

رفض واع لموقع "الام الخنون"، على رغم النزعات الديموقراطية التي جعلت جزءاً من الطبقة السياسية في فرنسا يساير "الاولاد المحبين". والتخلي عن هذا الموقع كان يتأسس بالطبع على تخلي فرنسا عن وضعيتها الاستعمارية في العالم وعلى سياسة التعاون التي ارادت ان ترسيها مع دول العالم الثالث عامة والعالم العربي خصوصاً. وكانت احدي أبرز ثمار النهج الفرنسي الجديد ما سمي بـ "السياسة العربية" للجنرال ديغول.

في المقابل، كان هذا الاطار العام الذي حدا ببعض اللبنانيين الى اتهام فرنسا بانها "باعث" لبنان من اجل البترول. وقد شاعت هذه المقولة في اوائل الحرب اللبنانية. غني عن القول ان مثل هذه المقولة خاطئة جملة وتفصيلاً. على العكس: لا يستطيع المرء الا مشاهدة البروفيسور دومينيك شوقالييه، رائد الدراسات التاريخية اللبنانية في طرحة الغائل ان "السياسة العربية" لفرنسا لم تقم يوماً على حساب لبنان، بل كانت عنصراً داعماً له وخصوصيته.

بالتأكيد، لم يكن الخط الفرنسي في لبنان مستقيماً على الدوام. ويعرف الجميع انه دخل في تعرجات عدة منذ اواخر عهد الرئيس فاليري جيسكار ديستان، وان التعرجات زادت في عهد الرئيس فرنسوا ميتران. لكن السبب لم يكن الضيق الى موقع "الام الخنون"، على رغم شيوعه في جزء من الرأي العام والطبقة السياسية في فرنسا. كان السبب، في مرحلة اولى، نزعة المسؤولين الفرنسيين الى التقرب من الولايات المتحدة والتخلي عن خصوصية سياستهم، ثم صار السبب في مرحلة ثانية حال الضياع الذي اصاب السياسة الفرنسية برمتها بعد التخلي عن هذه الخصوصية. وهذا تحديداً ما يدفع الى التعامل بحذر مع الحدث الذي شكّله زيارة شيراك. فعندما باريس، على خلاف ما يوحيه تاريخ حزبه، لم تعد تربطه بالديبلوماسية الاعلاقة اسمية. وهو، حاله حال ميتران، يفتقد النظرة الرحمة التي كانت تميز ديغول وجورج بومبيدو، ويفتقد الطموح الذي كان يحركهما.

حسناً اذا ان تفضي العلاقة الشخصية المميزة بين الرئيس الحريري والرئيس جاك شيراك الى اعادة تأسيس الصداقة الفرنسية - اللبنانية. لكن استمرار حال الضياع الذي يميّز السياسة الفرنسية عامة في ظل حكومة موالية لشيراك، كما كان يميّز حكومة خصومه الاشتراكيين، فضلاً عن حال الضياع في لبنان نفسه، يدفع الى التخوف من العودة الى التعرجات السابقة العهد، اذا ما زالت لسبب من الاسباب العلاقة الشخصية بين الرئيسين.

سمير قصير